

أضواء البيان

@ 428 مآ هـ اؤؤلاءِ يَنْطِقُونَ } قال { أُوْفٍ لِّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ } فلما أفحهم بهذه الحجة لجؤوا إلى القوة ، كما قال تعالى عنهم : { قَالُوا حَرِّ قُوهُ وَانصُرُوا ءَالِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ } . ونظيره قوله تعالى عن قوم إبراهيم : { فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّ قُوهُ فَأَنْزَلْنَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ } ، وقوله عن قوم لوط لما أفحهم بالحجة : { فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ أَلَّا لَظُوطٍ مِّنْ قَرْنٍ يَتَّبِعُكُمْ } ، إلى غير ذلك من الآيات . . .

وقوله : { سَلَامٌ عَلَيْكَ } يعني لا ينالك مني أذى ولا مكروه ، بل ستسلم مني فلا أوزيك . وقوله : { سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي } وعد من إبراهيم لأبيه باستغفاره له ، وقد وفى بذلك الوعد ، كما قال تعالى عنه : { وَاعْفِرْ لَّابِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ } ، وكما قال تعالى عنه : { رَبِّ إِنِّي نَدِيتُكَ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْعَالَمِينَ } . . .

ولكن □ بين له أنه عدو □ تبرأ منه ، ولم يستغفر له بعد ذلك ، كما قال تعالى : { فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَيَّرَ ثُمَّ أُبْرَاهِيمَ } ، وقد قال تعالى : { وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَّوَدَّةٍ وَوَعْدَهِآ إِيَّاهُ } والموعدة المذكورة هي قوله هنا { سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي } الآية . ولما اقتدى المؤمنون بإبراهيم فاستغفروا لموتاهم المشركين ، واستغفر النبي صلى □ عليه وسلم لعمه أبي طالب أنزل □ فيهم { مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أَوْلِيآءَ لِمَنْ يَكْفُرُونَ مِنَ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ } . ثم قال : { وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ } . وبين في سورة (الممتحنة) أن الاستغفار للمشركين مستثنى من الإسوة بإبراهيم ، والإسوة الإقتداء ، وذلك في قوله تعالى : { قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرءآؤا مِّنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا وَإِنَّا لَمُتَّقُونَ } إلى قوله { إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لَأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ } ، أي فلا أسوة لكم في إبراهيم في ذلك . ولما ندم المسلمون على استغفارهم للمشركين حين قال فيهم : { مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ } .

ءَامَنُوا° أَنْ يَسْتَغْفِرُوا° لِلْمُشْرِكِينَ { بِيَّنَ ا [تعالیٰ أنهم معذرون في ذلك . لأنه لم يبين لهم منع ذلك قبل فعله ، وذلك في قوله : { وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ ° حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ }
وقوله في هذه الآية : { أَرَأَيْبُ أُنْتَ عَنِ آلِهَتِي } يجوز فيه أن يكون (راعب)
خبراً